

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْمُصَبَّاحُ الْمُنِيرُ فِي تَهْذِيبِ تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ
سُورَةُ الْإِشْقَاقِ مِنَ الْآيَةِ (١٠) إِلَى الْآيَةِ (١٩)

الشِّيخُ / خَالِدُ بْنُ عُثْمَانَ السَّبْت

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فيقول الله -بارك وتعالى- بعدهما ذكر نعيم أهل الإيمان -على عادة القرآن في الجمع بين ما يحصل به الخوف والرجاء-: **{إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ}** [سورة المطففين: ٢٩]، أهل الإجرام في الدنيا يسخرون ويستهزئون ويتدرون بأهل الإيمان، فهذا الضحك إنما منشؤه الاستخفاف والازدراء والسخرية لاحتقارهم إياهم، فهم لا يرونهم شيئاً، لا قيمة لهم، يرون أنهم لا يمثلون حقاً، **{وَإِذَا مَرُوا بِهِمْ يَتَغَامِزُونَ}** [سورة المطففين: ٣٠] بأي لون من ألوان الإشارة بالعين أو بتعابير الوجه أو باليد أو غير ذلك، وهذا الغمز معروف، بمعنى أنه يشير إلى صاحبه، انظر إلى هذا، يفعل ذلك احتقاراً له وسخرية منه، **{وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِنَّ}** [سورة المطففين: ٣١] في القراءة الأخرى **{فَاكِهِنَّ}** يعني إذا رجع هؤلاء من أهل الإجرام إلى أهلهم رجعوا في حال مشابهة حيث يتدررون بهؤلاء المؤمنين، ويتصاحكون منهم، ويتفكهون في أعراضهم، وفي الوقت نفسه هم أيضاً في حال من الترهل في العيش والتلوّح في الملاد، فهم منغمون في ملذاتهم وشهواتهم مع اشتغالهم بأهل الإيمان يسخرون منهم ويزدونهم، **{وَإِذَا رَأُوهُمْ قَالُوا إِنَّ هُؤُلَاءِ لَضَالُّونَ}** [سورة المطففين: ٣٢] يحكمون عليهم بالضلالة وهم لم يعرفوا الحق أصلاً حتى يميزوا في ذلك، فيحكمون على الناس بجهل، يقولون: هذا ضال وهذا مهترء بمعاييرهم ومقاييسهم الفاسدة التي لا تقوم على أصل صحيح، **{وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ}** [سورة المطففين: ٣٣] هذا ليس من شأنهم وما كلفوا بهذا، يحفظون عليهم أعمالهم ويحصون ما صدر منهم، **{فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ}** [سورة المطففين: ٣٤] يوم القيمة في اليوم الآخر في الجنة أهل الإيمان يضحكون من الكفار الذين كانت أنظارهم لا تجاوز آنفهم، يعتقدون في أنفسهم بُعد النظر وحسن النظر في الأمور، ومعرفة المقاييس والمعايير الصحيحة للحق والباطل، ويوم القيمة يصيرون ويصبحون ويضجرون ويدعون على أنفسهم بالوليل والثبور في نار جهنم، وأهل الإيمان يتفرجون ويضحكون وينظرون، انظر إلى هذا، انظر إلى ذلك، الذين كانوا يسخرون مما ويزدوننا في الدنيا، وشتان بين من سخر في هذه الدنيا الفانية القصيرة وبين من يسخر في اليوم الحق الذي يجزي الناس فيه بمثاقيل الذر، شتان بين من حصل له الفوز الأكبر وتلقى كتابه بيمنيه، ودخل الجنة، ومن تلقى كتابه بشماله من وراء ظهره ثم سحب إلى النار، قال: **{عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ}** [سورة المطففين: ٣٥] فهذا الضحك الذي يكون من أهل الإيمان يكون حينما يصيرون إلى الجنة ويجلسون على الأرائك، وعرفنا أنها السرر ذات الحال التي عليها ما يكون كالمظلة فوق السرير، وهذه هي الأرائك **{يَنْظُرُونَ}** يتعمدون ينظرون إلى الله -بارك وتعالى-، ينظرون إلى أنواع النعيم، **{هَلْ ثُوبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ}** [سورة المطففين: ٣٦] هل جوزوا؟، هل هذا جزاء لهم؟.

الجواب: نعم، وأيّ جزاء، هذا جزاء لا شك أنه هائل، ومصير سيء صاروا إليه بسبب سوء أعمالهم وكثرة إجرامهم، وكفرهم بالله -جل جلاله.

ثم قال الله -عز وجل- في هذه السورة "سورة الانشقاق" التي تتحدث أيضاً عن اليوم الآخر، وتتحدث عن سير الإنسان منذ مبدئه ونشأته إلى أن يصل ويصير إلى الله -تبارك وتعالى- والدار الآخرة: **{إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ}** [سورة الانشقاق: ١] يعني انفطرت وتصدعت، **{وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ}** [سورة الانشقاق: ٢] استمعت أمرها فأجابت وحق لها أن تستجيب، **{وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ}** [سورة الانشقاق: ٣] بسطت ووسعـت وأزيلـ ما عليها من جبال، وصارت مستوية تتسع للناس من الأولين والآخرين يحـرون في صعيد واحد، هذه الأرض استجابت لأمر الله حيث أقتـ ما فيها وتخلـت، أقتـ ما فيها من الموتـ، أقتـ ما فيها من أساطـن الـذهب من الـكنـوز، أخرجـتـ ما بأـجوافـها وتخلـتـ عنـهمـ، **{يَا أَيُّهـا الـإِنـسـانـ إـنـكـ كـادـحـ إـلـى رـبـكـ كـذـحاـ فـمـلـاـقـيـهـ}** [سورة الانشقاق: ٦] هذا مـسـيرـ الإنسانـ فيـ هـذـهـ الـحـيـاةـ حـتـىـ يـصـيرـ إـلـىـ ذـلـكـ الـيـومـ الـذـيـ تـحـصـلـ فـيـهـ هـذـهـ الـأـهـوـالـ وـالـأـوـجـالـ، **{يَا أَيُّهـا الـإِنـسـانـ}** خطـابـ لـجـنـسـ الـإـنـسـانـ الـمـؤـمـنـ وـالـكـافـرـ **{إـنـكـ كـادـحـ إـلـى رـبـكـ}** تـعـملـ وـتـكـدـحـ بـجـدـ بـعـمـلـ دـعـوبـ، هـذـاـ الـعـمـلـ يـفـضـيـ فـيـ النـهـاـيـةـ إـلـىـ حـزـمـ مـقـدـعـ فـيـ الـجـنـةـ أـوـ حـزـمـ مـقـدـعـ فـيـ النـارـ، فـهـذـاـ الـعـمـرـ هـوـ الـأـنـفـاسـ، فـهـيـ صـنـادـيقـ لـعـمـلـ فـإـمـاـ أـنـ تـمـلـأـ هـذـهـ الـخـزـائـنـ بـالـطـاعـاتـ، وـإـمـاـ أـنـ تـمـلـأـ بـالـمـعـاصـيـ، ثـمـ يـفـضـيـ النـاسـ إـلـىـ الـقـيـامـةـ وـالـحـسـابـ فـقـتـ هـذـهـ الـخـزـائـنـ صـفـحـ الـأـعـمـالـ، ثـمـ بـعـدـ ذـلـكـ يـحـصـلـ التـغـابـنـ الـكـثـيرـ بـيـنـ النـاسـ، فـهـذـاـ اـشـتـرـىـ مـنـزـلاـ فـيـ الـجـنـةـ، وـهـذـاـ اـشـتـرـىـ مـنـزـلاـ فـيـ النـارـ، الـكـلـ يـغـدوـ، كـلـ النـاسـ يـغـدوـ، كـلـهـمـ يـعـمـلـ **{كـادـحـ إـلـى رـبـكـ كـذـحاـ فـمـلـاـقـيـهـ}** فـمـلـاـقـ هـذـاـ الـكـدـحـ حـيـثـ يـعـرـضـ عـلـىـ الـإـنـسـانـ الـعـمـلـ، وـيـرـىـ مـاـ قـدـمـ وـأـخـرـ، وـكـذـكـ هـوـ سـيـلـاـقـيـ رـبـهـ - تـبـارـكـ وـتـعـالـىـ - فـيـ حـاسـبـهـ عـلـىـ أـعـمـالـهـ، فـالـضـمـيرـ يـرـجـعـ إـلـىـ اللـهـ إـلـىـ الرـبـ، وـيـرـجـعـ أـيـضاـ إـلـىـ الـعـمـلـ.

{فَمَآ مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيمِينِهِ} [سورة الانشقاق: ٧] فـهـذـاـ الـذـيـ يـعـطـيـ الـكـتـابـ بـيـمـينـهـ هـمـ أـهـلـ السـعـادـةـ، وـهـذـهـ أـمـارـةـ الـفـلاحـ وـالـنـجـاـةـ وـالـفـوزـ الـأـكـبـرـ، أـخـذـ الـكـتـابـ بـالـيـمـينـ، فـهـنـاـ "فـسـوـفـ يـحـاسـبـ حـسـابـاـ يـسـيـرـاـ" تـعـرـضـ عـلـيـهـ أـعـمـالـهـ عـرـضـاـ جـمـلـيـاـ، يـعـنـيـ مـنـ غـيـرـ اـسـتـغـرـاقـ فـيـ التـفـاصـيلـ، وـمـحـاسـبـةـ عـلـىـ الصـغـيرـ وـالـكـبـيرـ، وـإـنـماـ يـعـرـضـ ذـلـكـ عـلـيـهـ مـجـرـدـ عـرـضـ، فـهـذـاـ هـوـ الـذـيـ **{يـحـاسـبـ حـسـابـاـ يـسـيـرـاـ * وـيـنـقـلـبـ إـلـى أـهـلـهـ مـسـرـورـاـ}** [سورة الانشقاق: ٩-٨] يـنـقـلـبـ يـرـجـعـ إـلـىـ أـهـلـهـ مـنـ سـبـقـهـ مـنـهـمـ فـيـ الـجـنـةـ، يـرـجـعـ إـلـىـ الـيـمـينـ مـسـرـورـاـ يـبـشـرـهـمـ يـخـبـرـهـمـ، أـوـ يـرـجـعـ إـلـىـ مـاـ أـعـدـ اللـهـ لـهـ فـيـ الـجـنـةـ مـنـ أـهـلـيـنـ.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم اغفر لشيخنا، وللحاضرين، وللمسلمين أجمعين.

يقول المؤلف -رحمه الله تعالى-: قوله تعالى: **{وَمَآ مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ}** [سورة الانشقاق: ١٠] أي: بـشـمـالـهـ مـنـ وـرـاءـ ظـهـرـهـ تـشـىـ يـدـهـ إـلـىـ وـرـائـهـ، وـيـعـطـيـ كـتـابـهـ بـهـاـ ذـلـكـ.

يعـنـيـ هـذـاـ **{وَمَآ مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ}** هـذـاـ لـاـ يـخـالـفـ مـاـ جـاءـ مـنـ أـخـذـ الـكـتـابـ بـشـمـالـهـ وـيـكـونـ -وـالـلـهـ تـعـالـىـ أـعـلـمـ- بـهـذـهـ الصـفـةـ تـلـوـيـ يـدـهـ مـنـ وـرـاءـ الـظـهـرـ جـزـاءـ وـفـاقـاـ، كـمـاـ أـنـهـ أـعـرـضـ عـنـ رـبـهـ -تـبـارـكـ وـتـعـالـىـ- وـجـعـلـ كـلـمـهـ وـرـاءـ ظـهـرـهـ، **{وَلَا تَكُونُوا كـلـذـيـنـ نـسـوـ اللـهـ فـأـنـسـاـهـمـ أـنـفـسـهـمـ}** [سورة الحشر: ١٩] الـجـزـاءـ مـنـ جـنـسـ الـعـمـلـ، تـرـكـواـ الـعـمـلـ بـطـاعـتـهـ وـالـإـيمـانـ بـهـ فـأـنـسـاـهـمـ أـنـفـسـهـمـ، صـارـ شـغـلـهـ فـيـماـ

يضرهم، أنساهم العمل بما ينفعهم، بما يرفعهم، صار اشتغالهم والتذاذهم بما يعود عليهم بالعطب والهلاك، وهنا جعلوا كتاب الله وراءهم ظهريًا فأخذوا كتاب الأعمال من وراء ظهورهم، والله تبارك وتعالى - حكم عدل، هؤلاء الفريق الذين يأخذون الكتاب بالشمال هم أهل الشمال نسأل الله العافية -، هذا حينما يأخذ كتابه بشماله انظروا ماذا يكون.

{فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُرًا} [سورة الإنشقاق: ١١] أي: خساراً وهلاكاً.

{يَدْعُو ثُبُرًا} يعني يصبح بأعلى صوته وأثبوراه، يدعوا بالثبور، يدعوا بالويل، يدعوا بالهلاك، وأثبوراه، وأولياته، وأولياته، لكن لو صاح حتى ينشق حلقه ما كان ذلك يعني عنه شيئاً، تجلّد، صبر **{أصْلُوهَا فَاصْبِرُوا** أو **{لَا تَصْبِرُوا}** [سورة الطور: ١٦] لا ينفعكم ذلك، تجلدوا أو لا تتجلدوا، أظهروا الجزء أو لا تظهروا الجزء كل هذا لا يعني، كما قالوا: **{سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْزَعَنَا أَمْ صَبَرَنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ}** [سورة إبراهيم: ٢١].

{وَيَصْلَى سَعِيرًا * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا} [سورة الإنشقاق: ١٣-١٤] أي: فرحاً لا يفك في العوائق ولا يخاف مما أمامه، فأعقبه ذلك الفرح اليسير الحزن الطويل.

هذا قوله: **{وَيَصْلَى سَعِيرًا}** كما سبق من أن صلي النار يكون بدخولها وبمقاساة حرها، "ويصلى سعيراً" ناراً تتسرع، والسعير من أسماء النار -أعادنا الله وإياكم ووالدينا وإخواننا المسلمين منها-، **{وَيَصْلَى سَعِيرًا * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا}** "إن" هذه تقيد التعليل، وهذا الذي يسمونه بدلاله الإيماء والتبيه، **{وَيَصْلَى سَعِيرًا * إِنَّهُ كَانَ}** لماذا يصلى سعيراً؟ "إنه.." فـ"إنه" هنا تقيد التوكيد، وتقيد التعليل لأنه يقول: لأنه كان في أهله مسروراً، والسرور هل هو مذموم؟ سرور هؤلاء مذموم، السرور الذي يكون بالرضا بالحياة الدنيا والتفتح بها بعيداً عن الله -عز وجل- والدار الآخرة، وبعيداً عن الإيمان هذا سرور مذموم؛ ولهذا أهل الجنة حينما يدخلون الجنة ماذا يقولون؟ **{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ}** [سورة فاطر: ٣٤]، ولهذا جاء عن بعض السلف كالحسن: ينبغي لمن لم يحزن أن يخاف ألا يكون من أهل الجنة؛ لأن أهل الجنة يقولون: **{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ}** معروف أن الحزن يكون على أمر مضى **{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ}** هم في الدنيا في حزن؟، يحزنون على شيء مضى؟، الجواب: لا، الحزن قد يعبر به عن الخوف، الخوف هو قلق من أمر مستقبل، والحزن لأمر ماضٍ، هذا الأصل، لكن قد يستعمل الحزن والحزن في أمر مما يتخوفه الإنسان، فهو يرجع إلى قلق قد يكون في الماضي وقد يكون في المستقبل، والغالب في الاستعمال أنه يكون للماضي، هذا بالنسبة للحزن، فهم يقولون: **{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ}** هذا الحزن مفسر، الذي قالوه مفسر بأنه الحزن للدار الآخرة الإشفاق، وإن فالحزن في الدنيا غير مطلوب أيضاً كما يقول شيخ الإسلام -رحمه الله-: إن الحزن إذا تتابع على القلب أفسده وأعطبه وأضعفه، يضعف قوى القلب فلا ينتفع بعمل دنيا ولا عمل آخرة، نسأل الله العافية؛ ولهذا استعاد النبي -صلى الله عليه وسلم- من الحزن، فهو غير مراد إلا أن يكون ذلك من جراء الخوف من الله في الدار الآخرة، إن المؤمن ليصبح حزينًا، ويensi حزينًا، وما يسعه إلا الحزن، هذه عبارات بعض السلف، ماذا يقصدون به؟ الحزن من الآخرة، أما الحزن على الدنيا وعلى ما فعل إلى آخره فهذا غير مطلوب، ما فاته من لذات، ما فاته من تجارات، ما فاته من هذا غير مطلوب، ولهذا كان الله -عز وجل- ينهى نبيه -صلى الله عليه وسلم- عن الحزن على هؤلاء المكذبين الذين لا يؤمنون ولا

يستجيبون، فنهاه عن ذلك، لا تحزن عليهم، فهو لاء من وصف الله من أهل النار **{إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا}** [سورة الإنشقاق: ١٣] ما كان يشفع من الآخرة، ولا كان يحسب لهذا حساباً، وإذا صدرت منه الأعمال السيئة ما يندم، ولا يحرك ذلك فيه عرقاً؛ لموت قلبه، أما المؤمن فإنه يشعر أن ذنبه كالجبل يكاد يسقط عليه، فهو خائف، ويتبوب، ولهذا من شروط قبول التوبة وصحتها الندم، وهذا الندم هو حزن يستقر في القلب، أما هؤلاء فإنهم لا يعرفون الله فلا يحصل لهم هذا الندم إطلاقاً على أعمالهم السيئة القبيحة، ولهذا ينبغي للإنسان أن يراجع نفسه، وأن ينظر هل قلبه يتحرك إذا عصى الله، هل هو مشفع من الدار الآخرة؟، أو أنه يضحك بملء فيه؟، تفوته الصلاة ويضحك بملء فيه، ويضيع حقوق الله، ويفعل المعاشي والجرائم، ويضحك بملء فيه، يخرج من المعصية ويضحك، هذا يكون القلب قد وصل إلى حالة من الضعف وربما الموت فلا يتأنى.

{إِنَّهُ ظَنَّ أَنَّ لَنْ يَحُورُ} [سورة الإنشقاق: ١٤] أي: كان يعتقد أنه لا يرجع إلى الله، ولا يعيده بعد موته، قاله ابن عباس وقتادة وغيرهما، والحوْر هو الرجوع.

ولهذا النبي -صلى الله عليه وسلم- استعاد من الحَوْر بعد الكُوْر^(١)، يعني الرجوع بعد أن يكون أمر الإنسان على حال سوية وينتظم، **{وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةِ أَنْكَاثَ}** [سورة النحل: ٩٢]، بعدما صار على حالة من الاتساق، صار على حال مرضية، صار على حالة طيبة من الإيمان والعمل الصالح، يتراجع، الحَوْر بعد الكُوْر، من كُوْر العمامة حينما تلف العمامة على الرأس، فالحوْر بمعنى الرجوع، تقول: حار الماء، يأتي الماء يأتي السيل إلى مكان لا يستطيع أن يعبر، يأتي ما يحجزه فيحُور أي يرجع.

قال الله: **{إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا}** [سورة الإنشقاق: ١٥]، يعني بلى سيعيده الله كما بدأ، ويجازيه على أعماله خيراً وشرها **{إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا}** أي: عليماً خبيراً.

لا يخفى عليه منه خافية، فالله -تبارك وتعالى- بصير بعباده، وإن ظن العبد أن أعماله قد لا يجازى عليها لكرهه، أو لغيبة غفلته، أو لم يحسب لذلك حساباً، لكن حينما تعرض عليه الصغار والكبار يدرك ذلك، فالله بصره نافذ بعده يراه في كل أحواله وتقلباته، كما قال الله -تبارك وتعالى- على أحد المعاني في التفسير في أولئك الذين كانوا في الجاهلية على الشرك حيث الوارد منهم يتصرف تصرفًا بزعمه أنه يستحي من الله -تبارك وتعالى-: **{إِنَّا هِنَّ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلَنُونَ}** [سورة هود: ٥]، بعدما قال: **{إِنَّهُمْ يَتَنَوَّنَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ}** يثنون صدورهم ليستخفوا منه على أحد المعاني، يعني أن الوارد منهم إذا جلس لقضاء حاجته انحنى بظهره ليكون ظهره بين عورته والسماء حباء من الله على أحد المعاني، فالله عز وجل -يقول: **{إِنَّا هِنَّ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ}** الواحد منهم يلتحف بلحافه لينام الله يعلم ما يدور في نفسه، هذا المعنى أنه ظن أن لا يحُور: أن لا يرجع إلى الله -تبارك وتعالى- بنحوه أيضًا قال ابن جرير -رحم الله الجميع.

١ - رواه النسائي، كتاب الاستعادة، باب الاستعادة من الحور بعد الكور، برقم (٥٤٩٨)، والترمذى، كتاب الدعوات عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب ما يقول إذا خرج مسافرا، برقم (٣٤٣٩)، وأحمد في المسند، برقم (٢٠٧٨١)، وقال محققوه: "إسناده صحيح على شرط مسلم".

{فَنَّا أَقْسِمُ بِالشَّقَقِ * وَاللَّيْلُ وَمَا وَسَقَ * وَالْقَمَرُ إِذَا اتَّسَقَ * لَتَرْكَبَنَ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ * فَمَا لَهُمْ نَأْيُؤْمِنُونَ * وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ نَأْ يَسْجُدُونَ * بِلَ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ * وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوَعِّدُونَ * فَبِشِّرْهُمْ بِعِذَابٍ أَلِيمٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْتُنُونِ} [سورة الإنشقاق: ٢٥-٣٦].

قبل هذا "إذا" في قوله: {إِذَا السَّمَاءُ انشَقَتْ} أين جوابها؟ الآن بدأ بقسم جديد فأين الجواب؟ بعضهم كالفراء يقول: إن الجواب {وَأَذِنْتُ لِرَبِّهَا وَحْقَتْ}، {وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ} هذا الجواب أذنت وألقت، طيب والواو؟ يعني الجواب لا تكون الواو داخلة عليه، يعني يكون هكذا {إِذَا السَّمَاءُ انشَقَتْ * وَأَذِنْتُ لِرَبِّهَا وَحْقَتْ} يعني إذا السماء انشقت أذنت لربها وحقت، يقول: الواو زائدة، وذكرنا أن هذا التعبير لا يحسن، لكن هم يقصدون زائدة إعراباً، وعليه فلا تكون عاطفة {إِذَا السَّمَاءُ انشَقَتْ * وَأَذِنْتُ لِرَبِّهَا وَحْقَتْ * وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا} يكون "ألقت" جواباً لما قبله {وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ} [سورة الإنشقاق: ٣٣]، وهذا ليس بظاهر -والله أعلم-، فقد رده عليه بعض أهل العلم كابن الأنباري قال: غلط، وعللوا ذلك بتعليقات لا حاجة للتوضيح في مثل هذا في هذا المقام، وبعضهم يقول: الجواب هو قوله: {فَمَلَأَيْهِ} يعني فأنت ملقيه، هذا قول الأخفش، وبعضهم يقول: في الكلام تقديم وتأخير، وهذا خلاف الأصل أيضاً؛ لأنَّه مهما أمكن حمل الكلام على وجه صحيح من الترتيب الذي ذكره الله تعالى فهو مقدم على دعوى التقديم والتأخير؛ لأنَّ الأصل أنَّ الكلام على النسق المذكور في الآيات، فالمبرد يذكر هذا يقول: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَأَيْهِ} {إِذَا السَّمَاءُ انشَقَتْ}، متى تلاقيه؟، إذا السماء انشقت، وهذا بعيد، والله -تبارك وتعالى- لا يخاطب الناس بخطابات تكون محاملها على معانٍ لا تخطر في بال السامع فضلاً عن أن تكون هي المتبادر أو غير المتبادر -والله تعالى أعلم-، وبعضهم يقول: إن الجواب {فَلَمَّا مَنْ أُوتَيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ} يعني {إِذَا السَّمَاءُ انشَقَتْ * وَأَذِنْتُ لِرَبِّهَا وَحْقَتْ * وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ} {فَلَمَّا مَنْ أُوتَيَ كِتَابَهُ} فيحصل انقسام الناس، تفاوت الناس، فأخذ كتابه بيمنيه، وآخذ كتابه بشماله، وهذا قول الكسائي، وهذا من حيث النظر -والله أعلم- لا يكون ذلك بعيداً متكلفاً فهو محتمل، {إِذَا السَّمَاءُ انشَقَتْ} فمن أوتى كتابه بيمنيه فسوف يحاسب حساباً يسيراً، وبعضهم يقول: إن الجواب هو "يا أيها الإنسان"، إذا السماء انشقت يا أيها الإنسان" قالوا: مع إضمار الفاء أي فيها أيها الإنسان، وكان قول الكسائي أقرب للسياق، والله أعلم.

رويَ عنْ عَلَيْ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَعَبْدَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَشَدَّادَ بْنِ أُوسٍ وَابْنِ عَمْرٍ وَمُحَمَّدَ بْنَ عَلَيْ بْنَ الْحُسَيْنِ وَمَكْحُولَ وَبَكْرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزْنِيِّ وَبُكَيْرَ بْنَ الْأَشْجَحِ وَمَالِكٍ وَابْنَ أَبِي ذِئْبٍ وَعَبْدَ الْعَزِيزِ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ الْمَاجِشُونَ أَنَّهُمْ قَالُوا: الشَّفَقُ الْحُمْرَةُ، وَرَوَى عَبْدُ الرَّزَاقَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: الشَّفَقُ الْبَيَاضُ، فَالشَّفَقُ هُوَ حُمْرَةُ الْأَفْقَ، إِمَّا قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ كَمَا قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وَإِمَّا بَعْدَ غُرُوبِهَا كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ عِنْ أَهْلِ الْلُّغَةِ، قَالَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ: الشَّفَقُ الْحُمْرَةُ مِنْ غُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى وَقْتِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ فَإِذَا ذَهَبَ قَيلَ: خَابَ الشَّفَقُ، وَقَالَ الْجَوَهْرِيُّ: الشَّفَقُ بَقِيَّةُ ضَوْءِ الشَّمْسِ وَحُمْرَتْهَا فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ إِلَى قَرِيبِ الْعَتَمَةِ، وَكَذَّا قَالَ عَكْرِمَةُ: الشَّفَقُ الَّذِي يَكُونُ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرُو -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-

عنهمـاـ عن رـسـول اللـه صـلـى اللـه عـلـيـه وـسـلـمـ آـنـه قـالـ (وـقـت الـمـغـرـب مـا لـم يـغـب الشـفـق) (٢)، فـي هـذـا كـلـه دـلـيل عـلـى أـنـ الشـفـق هـوـ كـمـا قـالـه الـجـوـهـرـيـ وـالـخـلـيلـ.

وهـذا هو المشـهـور الـذـي عـلـيـه عـامـة أـهـل الـعـلـمـ، وـالـحـدـيـث يـدـلـ عـلـى هـذـا، وـإـلـيـه يـتـوـجـه الـذـهـن عـنـدـ الإـطـلاقـ، إـذـا قـيـلـ: الشـفـق فـالـمـقصـود بـهـ الـحـمـرـةـ، وـالـمـقصـود بـهـ أـيـضـاـ الشـفـقـ الـذـي يـكـونـ مـعـ مـغـيـبـ الشـمـسـ، بـعـدـ غـيـابـ الشـمـسـ إـلـى دـخـولـ وقتـ الـعـشـاءـ، فـهـذـا كـلـه وقتـ الشـفـقـ، فـهـذـا هو المشـهـورـ الـذـي عـلـيـه عـامـة أـهـلـ الـعـلـمـ مـنـ أـهـلـ الـلـغـةـ وـمـنـ الـمـفـسـرـينـ، وـمـنـ الـفـقـهـاءـ، وـهـوـ الـذـي أـضـافـهـ الـواـحـدـيـ إـلـىـ الـمـفـسـرـينـ قـالـ: هـذـا قـوـلـ الـمـفـسـرـينـ: الشـفـقـ الـذـي يـكـونـ بـعـدـ غـيـابـ الشـمـسـ، بـلـ الـواـحـدـيـ يـقـوـلـ: وـهـذـا قـوـلـ أـهـلـ الـلـغـةـ جـمـيـعـاـ، مـعـ أـنـكـ لـوـ تـتـبـعـتـ كـلـامـ أـهـلـ الـلـغـةـ تـجـدـ مـنـ يـذـكـرـ أـشـيـاءـ لـكـ يـمـكـنـ أـنـ تـوـجـهـ، لـكـ هـذـا الـذـي يـكـادـ يـطـبـقـ عـلـيـهـ أـهـلـ الـعـلـمـ، وـعـامـةـ أـهـلـ الـعـلـمـ، وـلـذـكـ حـكـاهـ الـقـرـطـبـيـ سـرـحـمـهـ اللـهــ عنـ أـكـثـرـ الصـحـابـةـ وـالـتـابـعـينـ وـالـفـقـهـاءـ، {فـا أـقـسـمـ بـالـشـفـقـ} فـأـقـسـمـ بـالـشـفـقـ ثـمـ أـقـسـمـ حـكـاهـ الـقـرـطـبـيـ سـرـحـمـهـ اللـهــ عنـ أـكـثـرـ الصـحـابـةـ وـالـتـابـعـينـ وـالـفـقـهـاءـ، {وـالـلـيـلـ وـمـا وـسـقـ} بـالـلـيـلـ، فـالـشـفـقـ يـكـونـ مـقـدـمـةـ لـلـيـلـ، وـالـذـيـنـ عـبـرـواـ عـنـ ذـلـكـ بـالـنـهـارـ كـأـنـهـ قـابـلـواـ ذـلـكـ بـالـلـيـلـ، {وـالـلـيـلـ إـذـا يـغـشـيـ} [سـوـرـةـ الـلـيـلـ: ١] يـعـنيـ أـقـبـلـ، وـكـذـلـكـ فـيـ قـوـلـهـ: {وـالـلـيـلـ إـذـا عـسـعـسـ} يـحـتـمـلـ هـذـا وـهـذـا، لـأـنـهـ مـنـ الـأـضـادـ أـقـبـلـ وـأـدـبـرـ، فـهـذـهـ كـلـهاـ مـظـاهـرـ تـدـلـ عـلـىـ عـظـمـةـ اللـهــ عـزـ وـجـلــ وـقـدـرـتـهـ الـبـاهـرـةـ، فـأـقـسـمـ بـالـشـفـقـ {وـالـلـيـلـ وـمـا وـسـقـ} * وـالـقـمـرـ إـذـا اتـسـقـ} فـهـذـهـ كـلـهاـ تـكـونـ فـيـ الـلـيـلـ، فـالـشـفـقـ مـقـدـمـتـهـ وـالـقـمـرـ آـيـتـهـ {فـمـحـوـنـا آـيـةـ الـلـيـلـ وـجـعـلـنـا آـيـةـ الـنـهـارـ مـبـصـرـةـ} [سـوـرـةـ الـإـسـرـاءـ: ١٢]، يـعـنيـ الشـمـسـ، وـفـيـ قـوـلـهـ تـبـارـكـ وـتـعـالـىـ: {قـلـ أـعـوـذـ بـرـبـ الـفـلـقـ} * مـنـ شـرـ مـا خـلـقـ * وـمـنـ شـرـ غـاسـقـ إـذـا وـقـبـ} [سـوـرـةـ الـفـلـقـ: ٣-١] فـالـغـاسـقـ فـسـرـ بـالـقـمـرـ فـيـ أـحـدـ الـمـعـانـيـ الـمـشـهـورـةـ فـيـ تـقـسـيـرـهـ، وـأـشـهـرـ الـأـقـوـالـ فـيـ قـوـلـهـ: {وـمـنـ شـرـ غـاسـقـ إـذـا وـقـبـ} أـشـهـرـ الـأـقـوـالـ عـلـىـ تـعـدـهـاـ: أـنـهـ الـلـيـلـ أـوـ الـقـمـرـ، وـبـيـنـ الـقـوـلـيـنـ مـلـازـمـةـ باـعـتـبـارـ أـنـ الـقـمـرـ هـوـ آـيـةـ الـلـيـلـ، فـهـنـاـ ذـكـرـ هـذـاـ جـمـيـعـاـ ذـكـرـ الـلـيـلـ وـذـكـرـ الـقـمـرـ، وـذـكـرـ الشـفـقـ، وـعـرـفـنـاـ أـنـ "لاـ" هـذـهـ لـتـأـكـيدـ الـقـسـمـ، وـبعـضـهـمـ يـقـوـلـ: نـافـيـةـ لـأـمـرـ مـقـدـرـ سـابـقـ أـيـ لـاـ لـمـ تـقـولـنـ مـثـلـاـ أـقـسـمـ بـالـشـفـقـ، أـوـ أـنـهـ نـافـيـةـ يـرـادـ بـهـ نـفـيـ الـقـسـمـ، أـيـ هـذـاـ الـأـمـرـ مـنـ الـوـضـوـحـ بـحـيـثـ لـاـ يـحـتـاجـ إـلـىـ قـسـمـ. وـأـقـرـبـ أـنـهـ لـتـوكـيـدـ الـقـسـمـ.

قـالـ أـبـنـ عـبـاسـ وـمـجـاهـدـ وـالـحـسـنـ وـقـتـادـةـ: {وـمـا وـسـقـ} وـمـا وـسـقـ، وـسـقـ أـصـلـهـ ضـمـ الشـيـءـ بـعـضـهـ إـلـىـ بـعـضـ، قـالـ عـكـرـمـةـ: {وـالـلـيـلـ وـمـا وـسـقـ} يـقـوـلـ: مـا سـاقـ مـنـ ظـلـمـةـ، إـذـا كـانـ الـلـيـلـ ذـهـبـ كـلـ شـيـءـ إـلـىـ مـأ~وـاـهـ.

هـذـاـ مـفـيدـ، يـرـاجـعـ الـأـصـلـ

قوـلـهـ تـبـارـكـ وـتـعـالـىـ: {وـالـلـيـلـ وـمـا وـسـقـ} أـقـسـمـ بـالـلـيـلـ وـمـا وـسـقـ، وـسـقـ أـصـلـهـ ضـمـ الشـيـءـ بـعـضـهـ إـلـىـ بـعـضـ، يـعـنـيـ {وـالـلـيـلـ وـمـا وـسـقـ} أـيـ: حـوـىـ وـجـمـعـ وـلـفـ كـمـاـ يـعـبـرـ الـمـفـسـرـونـ، وـهـيـ عـبـارـاتـ مـتـقـارـبـةـ، اللـهـمـ إـلـاـ مـاـ جـاءـ عـنـ عـكـرـمـةـ أـنـهـ فـسـرـ وـسـقـ قـالـ: وـمـا سـاقـ، فـسـرـهـ بـالـسـوقـ، سـاقـ، يـعـنـيـ جـعـلـهـ مـنـ السـوقـ لـاـ مـنـ الـجـمـعـ، مـا سـاقـ مـنـ مـاـذـاـ؟ـ مـا سـاقـ مـنـ ظـلـمـةـ، مـا سـاقـ مـنـ الـذـوـاتـ وـالـمـخـلـوقـاتـ الـتـيـ تـأـوـيـ إـلـىـ أـمـاـكـنـهـ وـمـحـالـهـ وـبـيـوـتـهـ أـوـ مـاـ

ساق من شرور شياطين وما إلى ذلك، فإن الليل يكون مظنة لانتشار الشياطين، شياطين الإنس والجن، ولهذا النبي -صلى الله عليه وسلم- أمر بكف الصبيان عند إقبال الليل حتى تذهب فحمة العشاء؛ لأنهم ينتشرون، وقت الانتشار الآن -وتنتشر الهوام والسباع في الليل، ولهذا جاء في الاستعادة في سورة الفلق، قال: **{وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ}** قلنا: الليل، أو قلنا: القمر وهو متلازمان، لماذا الاستعادة؟ لأنه في الليل تنتشر هذه الشرور في الظلام أكثر من النهار، عكرمة فسره بالسوق، ولكن الذي عليه عامـة أهل العلم سلفاً وخلفاً أنه معنى الضم والجمع واللف، جمع ولف وضم كل ما جنه وستره، "وما وسق"، انظر إلى قول الشاعر البائس المسكين الذي يبحث عن أدنى سبب يربطه بمحبوبته فلم يجد شيئاً من قرابة ولا صلة ولا نسب فقال:

أليس الليلُ يجمع أمَّ عمِّرو *** **وإيَّانا فذاك بنا تداني**

هذا قرب، يعني هناك عامل مشترك شيء يجمع بيني وبينها، ما هذا الذي يجمع بينك وبينها؟ قال: الليل يجمع بيننا، هي عندها ليل وأنا عندي ليل

وَتَرَى الْهَلَالَ كَمَا أَرَاهُ *** وَيَعْلُوْهَا النَّهَارُ كَمَا عَلَانِي

هو يبحث عن أي شيء، أي وجه من الاشتراك والجمع بينه وبين محبوبته، فما وجد إلا الليل، وأنها ترى الـهـلـالـ، وأن النـهـارـ يعلوهـما مـعـاـ فـهـذا نوع اـشـتـراكـ وـارـتـباطـ معـ أـنـ اللـلـيـلـ الـظـلـامـ يـجـمـعـ الشـيـاطـيـنـ وـيـجـمـعـ الأـشـرـارـ، وـيـعـلـوـ الجـمـيـعـ.

فـهـنـاـ **{وَمَا وسق}** فـسـرـ بـمـاـ جـنـ وـسـتـرـ، أـوـ مـاـ حـمـلـ، كـلـ هـذـهـ مـعـانـ مـتـقـارـبـةـ، كـلـ شـيـءـ حـمـلـتـهـ فـقـدـ وـسـقـتـهـ، فـهـذـاـ اللـلـيـلـ يـنـتـشـرـ بـظـلـامـهـ فـيـغـطـيـ نـاحـيـةـ الـمـعـمـورـةـ، فـيـ الـوقـتـ نـفـسـهـ الـذـيـ يـحـمـلـ فـيـ الـظـلـمـةـ أـوـ يـحـمـلـ مـاـ يـحـمـلـ مـنـ كـوـاـكـبـ تـخـرـجـ فـيـ اللـلـيـلـ وـمـاـ إـلـىـ ذـلـكـ، كـمـاـ يـقـولـ طـائـفـةـ مـنـ السـلـفـ كـفتـادـةـ وـالـضـحـاكـ وـمـقـاتـلـ: تـسـكـنـ فـيـ الـأـرـوـاحـ، وـيـرـجـعـ النـاسـ إـلـىـ بـيـوـتـهـ، وـالـطـيـرـ وـمـاـ إـلـىـ ذـلـكـ، كـلـ يـأـوـيـ إـلـىـ نـاحـيـتـهـ، نـحـنـ قـدـ لـاـ نـشـاهـدـ الـآنـ الـحـيـاةـ عـلـىـ طـبـيـعـتـهـ الـتـيـ فـطـرـهـ اللهـ عـزـ وـجـلـ عـلـيـهـ؛ لـأـنـ النـاسـ تـحـوـلـ لـيـلـهـمـ إـلـىـ نـهـارـ، لـكـنـ إـلـىـ عـهـدـ قـرـيبـ إـلـىـ وـقـتـ قـرـيبـ كـانـ النـاسـ يـشـاهـدـونـ ذـلـكـ فـإـذـاـ جـاءـ الغـرـوبـ بـدـأـ كـلـ شـيـءـ يـرـجـعـ، رـجـعـ أـهـلـ الزـرـاعـةـ وـالـفـلاحـةـ وـالـصـنـاعـةـ وـأـفـقـرـتـ الـمـتـاجـرـ وـالـأـسـوـاقـ حـتـىـ الدـوـابـ وـالـبـهـائـمـ تـرـجـعـ مـنـ نـفـسـهـاـ، يـعـنـيـ لـاـ تـحـتـاجـ إـلـىـ سـاقـ، إـذـاـ جـاءـ وـقـتـ الغـرـوبـ رـجـعـتـ هـذـهـ الدـوـابـ مـسـتـقـبـلـةـ دـورـ أـهـلـهـاـ كـلـ وـاحـدـةـ تـرـعـفـ، حـتـىـ إـنـهـ إـلـىـ عـهـدـ قـرـيبـ فـيـ الـقـرـىـ وـالـنـواـحـىـ وـالـأـرـيـافـ وـنـحـوـ هـذـاـ تـجـدـ الـقـرـيـةـ لـهـاـ رـاعـ وـاحـدـ، فـهـؤـلـاءـ عـنـدـهـمـ شـاهـ، وـهـؤـلـاءـ عـنـدـهـمـ ثـلـاثـ، وـهـؤـلـاءـ عـنـدـهـمـ خـمـسـ، فـإـذـاـ جـاءـ وـقـتـ ماـ بـعـدـ الـفـجـرـ سـرـحـوـهـاـ، فـتـذـهـبـ تـرـتـعـ مـسـرـعـةـ تـسـقـبـ تـلـكـ النـاحـيـةـ الـتـيـ تـنـطـلـقـ مـنـهـاـ مـعـ الرـاعـيـ، ثـمـ تـذـهـبـ سـائـرـ الـيـوـمـ فـإـذـاـ جـاءـ وـقـتـ الغـرـوبـ أـقـبـلـتـ وـقـدـ اـمـتـدـتـ خـواـصـرـهـاـ وـأـمـتـلـأـتـ ضـرـوـعـهـاـ مـسـرـعـةـ لـاـ تـلـوـيـ عـلـىـ شـيـءـ، كـلـ وـاحـدـةـ مـنـ هـذـهـ الـبـهـائـمـ تـسـقـبـ دـارـ أـهـلـهـاـ فـتـلـجـ، هـذـاـ شـيـءـ مـشـاهـدـ مـعـرـوفـ يـعـرـفـهـ النـاسـ، وـلـهـذـاـ يـقـولـ اـبـنـ جـرـيرـ: **"وَالـلـيـلـ وـمـاـ وـسـقـ"** وـمـاـ جـمـعـ مـاـ سـكـنـ فـيـهـ مـنـ ذـيـ روـحـ، النـاسـ يـرـجـعـونـ إـلـىـ بـيـوـتـهـ، الـطـيـورـ تـرـجـعـ، الـبـهـائـمـ تـرـجـعـ فـتـهـدـأـ، هـذـاـ الـذـيـ يـطـيـرـ يـذـهـبـ إـلـىـ وـكـرـهـ، وـمـاـ يـدـبـ يـرـجـعـ إـلـىـ مـوـضـعـهـ، هـذـاـ مـعـنـيـ وـسـقـ **-وـالـهـ تـعـالـىـ أـعـلـمـ-**، فـيـحـمـلـ عـلـىـ هـذـهـ الـمـعـانـيـ كـلـهـاـ، وـمـاـ وـسـقـ: مـاـ حـمـلـ مـنـ ظـلـمـةـ، وـمـاـ جـمـعـ.

وقوله تعالى: **{وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ}** قال ابن عباس: إذا اجتمع واستوى، وقال الحسن: إذا اجتمع، إذا امتلأ، وقال قتادة: إذا استدار، ومعنى كلّاهم أنّه إذا تكامل نوره وأبدأ، جعله مُقابلًا لِلليلِ وما وسقَ. يعني هنا الليل وما حوى بظلمته وما حمل فيها، وكذلك أقسم بالقمر في أكمل حالاته، وذلك إذا استدار معناه إذا استتم، المعنى واحد لكن هذا عبر باستدار وهذا قال: استتم.

فإنه لا يكون مستديراً ولا تتم استدارته إلا إذا كان بحال الاتكمال؛ وللهذا يعبرون يقولون: امتلاً، اجتمع، لا يمتلئ ويجتمع إلا في حال الاتكمال، وذلك في ليلة الرابع عشر، وليلة الخامس عشر، هذه الليالي تجد بعض أهل العلم يقول: ليلة الثالث عشر، وليلة الرابع عشر، وليلة الخامس عشر يكون القمر في أكمل حالاته إلى السادس عشر، الليلة السادسة عشرة يكون القمر مكتملاً، فيكون ذلك معنى الوسق الذي هو الاتكمال أو الجمع، واتسق له هذا الأمر يعني اكتمل، أمر فلان متتسق أي منظم مكتمل مستقيم، اتسقت له الأمور يعني استتمت، فالقمر إذا اتسق معنى ذلك أنه اكتمل، فأقسم به في هذه الحال؛ لأن ذلك أحسن أحوال القمر، وأكمل أحوال القمر، وأجمل ما يكون عليه القمر، وللهذا يشبه به في الجمال، وجهه كالقمر في الحسن.

وقوله تعالى: **{التركين طبقاً عن طبق}** روى البخاري عن مجاهد قال: قال ابن عباس: **{التركين طبقاً عن طبق}** حالاً بعد حال، قال هذا نبيكم -صلى الله عليه وسلم-^(٣)، وهكذا رواه البخاري بهذا اللفظ. وقال عكرمة: **{طبقاً عن طبق}** حالاً بعد حال، فطيمما بعدهما كان رضيعاً، وشيخاً بعدهما كان شاباً، وقال الحسن البصري: **{طبقاً عن طبق}** يقول: حالاً بعد حال، رخاء بعد شدة، وشدة بعد رخاء، وغنى بعد فقر، وفقرًا بعد غنى، وصحّة بعد سقم، وسقماً بعد صحة.

قوله -تبارك وتعالى-: **{التركين طبقاً عن طبق}** هذا جواب القسم، الآن **{فَلَا أُفْسِمُ بِالشَّفَقِ}** فلنا: هذا قسم، يعني أقسم بالشفق، وبالليل وما وسق، وبالقمر إذا اتسق، ثلاثة أقسام أو أكثر؛ لأن القسم هنا بالشفق وبالليل وبما وسق -يعني جمع- وبالقمر صارت أربعة، هذه الأقسام الأربع على ماذا؟ **{التركين طبقاً عن طبق}** هذا جواب القسم، ما معنى **{التركين طبقاً عن طبق}**? الآن عندنا القراءة بالفتح **{التركين}** وهي قراءة متواترة لحمسة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو، هذا الآن **"التركين"** خطاب للواحد في ظاهره، وهو يحتمل أن يكون المراد به واحداً وهو النبي -صلى الله عليه وسلم-، يعني حالاً بعد حال من الشدة والرخاء، والضعف والقوية حتى التمكين، ومضى قول ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما-، لكن ابن حrir -رحمه الله- حمل ذلك على شدائيد القيامة، يعني هنا ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- ما قيده، ماذا قال؟ قال: حالاً بعد حال، ابن حrir يقول: حالاً بعد حال من شدائيد القيامة، والأية أطلق الله -عز وجل- فيها ذلك فلم يقيده بالقيامة، والأصل بقاء ما أطلقه الله -عز وجل- على إطلاقه، كما يبقى العام على عمومه حتى يرد المخصوص أو المقيد، ولا يوجد عندنا ما يقيد ذلك، فهنا على هذه القراءة المتواترة **"التركين"** بعضهم قال: أي: النبي -صلى الله عليه وسلم-، حالاً بعد حال، هل هذا في الدنيا أو في الآخرة؟ مقتضى الإطلاق أن يبقى عاماً، وبعضهم

يقول: إن ذلك يرجع إلى السماء، يعني السماء ستمر بأطوار وأحوال من الانفطار والانشقاق حتى تصير وردة كالدهان، ولكن هذا بعيد، والله أعلم.

وبعض أهل العلم يقول: إن هذه القراءة "التركين طبقاً عن طبق" خوطب بها واحد غير معين، فتكون بمعنى العموم، يصلح الخطاب لكل مخاطب، يعني يا أيها الإنسان، أو أن الله أقسم بهذه الأمور -أربعة أقسام- على هذه القضية "التركين طبقاً عن طبق" حالاً بعد حال، القراءة الثانية {التركين} هذه واضح أنها للجمع وهو الناس، والذين حملوا ذلك على النبي -صلى الله عليه وسلم- بعضهم خصه بأمر حصل له في الدنيا وذلك ليلة المراج، **{طبقاً عن طبق}** يعني في عروجه في السماوات -صلى الله عليه وسلم- كما جاء عن الشعبي ومجاهد، لتركين يا محمد طبقاً عن طبق، يعني يergus الله به فيتصعد من سماء إلى سماء، وبعضهم يقول: درجة بعد درجة، ورتبة بعد رتبة من رتب العبودية، والقرب من الله -تبارك وتعالى-، ورفعه المنزلة، وبعضهم يقول: هذا في الشدائـ، وابن جرير يحمله على الشدائـ كما سبق لكنه حمله على شدائـ الآخرة، وبعضهم أطلق الشدائـ باعتبار أن مثل هذا التعبير عادة يقال في الشدائـ، يقولون: أصابته بنات طبق، وقع في بنات طبق، يعني في مصائب، في شدائـ، فمن هنا حمله ابن جرير -رحمه الله- على الشدائـ، ولكن كثير من أهل العلم حملوه على ما هو أعم من هذا **{طبقاً عن طبق}** قالوا: حالاً بعد حال، يبدأ نطفة ثم علقة ثم يتخلق ثم تنفس فيه الروح ثم يخرج طفلاً، ثم يكون يافعاً يشب، ثم بعد ذلك يصير كهلاً، ثم يصير شيئاً، ثم يموت ويصير إلى البرزخ، ثم يصير إلى القيمة، أو إلى الحشر، ثم بعد ذلك يصير إلى الجنة، طبعاً مع ما يجري في القيمة من حساب وزن الأعمال، ونصب الموازين للناس، ثم الاجتياز على الصراط، والجنة أو النار.

{التركين طبقاً عن طبق} حالاً بعد حال فهذا يكون الخطاب للإنسان **{يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كذحاً فمتلقيه}** كما أشرت في أول السورة فيكون هذا بياناً لحال هذا الإنسان وما يصير إليه، ولا بد من أنه سينتقل من حال إلى حال، وأنه سيلقى من الشدة والأحوال والأطوار والرخاء أحوالاً متوعة، **{التركين طبقاً عن طبق}** وهذه حقيقة أقسم الله -عز وجل- عليها أربعة أقسام، وبناء على هذا المعنى يكون الإنسان قد وطن نفسه لتحمل الشدائـ والصبر عليها؛ لأن هذا أمر لا مفر منه، والله -عز وجل- يقول: **{لقد خلقنا الإنسان في كبد}** [سورة البلد: ٤] فمن ظن أن الدنيا هي محل الراحة فهو مخطئ، وإنما الراحة حينما يضع أول قدم له في الجنة، فتجد الإنسان اليوم مرتاحاً، وغداً مشوش الذهن، يصبح الإنسان في حال من الانشراح والسرور والنشاط، نفسه متألقة، وفي يوم آخر يصبح في حال من الضيق والفتور، تمر به اليوم أمور تنشط قلبه وتنقديه، ويفرح ويسر، ثم بعد ذلك تمر به أحوال يضيق بها الصدر، **{التركين طبقاً عن طبق}** وهذه طبيعة الحياة، مثل هذه الأجواء التي نراها: اليوم هواء، غداً غبار، بعد غد رطوبة، بعد ذلك يأتي شتاء، بعده يأتي ربيع، صيف، خريف، كما تنقلب هذه الأجواء التي شاهدها كذلك الحياة، هكذا طبيعتها لا تصفو لأحد لا كبير ولا صغير ولا قوي ولا ضعيف ولا غني، ولكن الإنسان في حال الابتلاء في حال الشدة في حال ما يكره عليه صفو العيش يظن أنه هو الوحيد بمصيبته، فتضيق به الدنيا؛ ولذلك يتعزز في الدنيا بما يجري للآخرين، فإذا قيل له: فلان حصل له كذا، فلان حصل له مثلـ، فلان حصل له كذا يتسلـ، لذلك الخناء تقول:

ولولا كثرةُ الباكين حولي *** على إخوانهم لقتلتُ نفسي

فإذا كثر المصاب وعم خف أثره على الناس، لكن حينما ينفرد الإنسان ببلية في مصيبة يظن أنه الوحيد، فيتعاظم ذلك في نفسه، فيغلب عليه الغم والحزن والهم، ولكن من عرف أن هذه هي طبيعة الحياة، وأن الله أقسم على هذا، **{لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ}** حالاً بعد حال فإنه لا يعجب، والحياة لا تدوم على حال واحدة، وإنما تتغير وتتقلب بأهلها، وتجد هذا الإنسان الذي في غاية العافية صار مريضاً، وتجد هذا الإنسان الذي كان في نضارة الشباب بعد مدة تراه قد أصابه الشّمط وشاخ وذبل وضعف، ومثل هذا تجد هذا الغني صار فقيراً، وبعدما كان هؤلاء بحال اجتماعهم واتكمال أمرهم وأحوالهم تفرقوا، -والله المستعان-، **{لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ}**.

ونسأل الله -عز وجل- أن يصلاح أحوال المسلمين، وأن يلطف بهم، وأن يجعل العاقبة لهم، وأن ينصرهم على عدوه وعدوهم، وأن يحقن دماءهم ويحفظ أعراضهم، والله المستعان.